

المحاضرة الثالثة عشرة

الفلسفة الإسلامية: علم الكلام: التيارات الكلامية:

ثانياً: التيار العقلي ثانياً: الإمامية (١)

سميت هذه الفرقة بالإمامية نسبة لقولهم بالإمامية ، ومع أن جميع المسلمين قالوا بوجوب الإمامية ، إلا أن الذي ميز هذه الفرقة عن باقي الفرق في القول بالإمامية :

١ - أن الإمامة كالنبيه يعود أمر اختيار الإمام إلى الله وليس إلى الأمة .

٢ - أن هذه الفرقة هي الوحيدة التي حددت أئمتها بالاسم والوصف والعدد.

من مركباتها :

١ - يعد العقل المصدر المعرفي عند الإمامية إلا أنهم لم يعطوه قيمة مطلقة كما فعلت المعتزلة ،

٢ - حرية الإرادة . ٣ - القول بالتأويل .

نظريات نشوء الإمامية :

النظرية الأولى : أن الإمامية نشأت على يد الشيخ الطوسي ت ٤٦٠ هـ :

كان الشيخ الطوسي زعيم الإمامية في زمانه في بغداد بعد الشري夫 المرتضى ت ٤٣٦ هـ أيام البوبيين الذين أعطوا الحرية الفكرية لجميع الاتجاهات الفكرية ، وكانت للطوسي مكتبة فخمة وكرسي للدرس إلا أنه لما جاء السلاجقة سنة ٤٤٧ هـ وسيطروا على بغداد تبنوا المذهب الحنفي وطاردوا جميع الاتجاهات الفكرية الأخرى ، فأحرقت مكتبة الطوسي وكرسيه واضطرب إلى الهرب إلى مرقد أمير المؤمنين (ع) وبنى له مسجد إلى جواره وأخذ طلبة العلم يتواافدون عليه هروبا من السلاجقة ، وغدا مرقد أمير المؤمنين (ع) منبرا علميا وبدأ ما يسمى بالحوزة العلمية التي أخذت على عاتقها نشر فكر أهل البيت (ع) . من هنا تصور البعض أن نشوء فرقة الإمامية يعود للشيخ الطوسي .

النظرية الثانية : أنها نشأت على يد الإمام الصادق (ع) ت ١٤٨ هـ .

بعد الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) الإمام السادس عند الإمامية ، وكانت فترته فترة انفراج سياسي حيث ضعف الأمويين وببداية عصر العباسيين فتنفست الاتجاهات الفكرية وبدأت نشر أفكارها ومنها المذاهب الفقهية التي بدأت بالظهور في هذه الفترة ، وكان الإمام الصادق (ع) هو زعيم مذهب أهل البيت في هذه الفترة فأأخذ بنشر علوم أهل البيت (ع) حتى عرف هذا المذهب باسمه تميزا عن المذاهب الأخرى ، وقد عد تلامذته بالألاف ومنهم مؤسسي المذاهب .

النظرية الثالثة : أنها نشأت كرد فعل لدم الإمام الحسين (ع) .

لا شك أن مقتل الإمام الحسين (ع) سبط النبي (ص) ترك أثرا سلبيا في نفوس المسلمين ، إذ قتل وحيدا وليس معه من الأمة الإسلامية الشاسعة الأرجاء سوى أهل بيته وعدد قليل جدا من أصحابه ، فتم تصفيتهم بمجزرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، ولم يقتصر المجرمون على قتلهم بل سحقوا جسده بحوافر الخيل ، وقطعوا رأسه الشريف وأخذوا يطوفون به في المدن العربية الإسلامية ، وزادوا في إجرامهم أن قاموا بسبي نساءه وأطفاله من بلد إلى بلد من بلاد المسلمين وهم ذرية النبي (ص) وأحفاده .

لا جرم أن هذه الكارثة هيمنت الرأي العام الإسلامي وأصبح شعار ((يا لثارات الحسين)) ، و((الرضا من آل محمد)) هي شعار كل ثائر على الظلم عبر التاريخ ، وأصبح يوم كربلاء نقطة سوداء في تاريخ المسلمين ، فمن هنا ربط البعض بين دم الإمام الحسين (ع) ونشوء الإمامية .

النظرية الرابعة : أنها نشأت بعد تولي أمير المؤمنين (ع) الخلافة .

لما تولى أمير المؤمنين (ع) الخلافة انقسم المسلمون بين مؤيد له ومعارض إلى درجة إعلان الحرب ضده ، فاستمات بعض المسلمين في نصرته ووصفوا بأنهم شيعته ، فمن هنا تصور البعض أن نشوء الإمامية مرتبطة بأيام خلافته ، ولكن المعلوم أن الكثير من نصروروا الإمام في حروبهم لم ينظروا إليه كإمام معصوم كما تقول الإمامية وإنما خليفة رابع تم انتخابه من قبل

ال المسلمين ، ولذلك من هؤلاء كان الخوارج الذين كفروه ، ومنهم من شارك فيما بعد بقتل ولد الإمام الحسين (ع) .

النظريّة الخامسة: أنها نشأت يوم السقيفة. لما توفي النبي (ص) انقسم المسلمين في من يخلفه ، فرأى الأنصار أنهم الأحق بخلافة النبي (ص) لأن الإسلام قام بسيوفهم ، ولكن جماعة من المهاجرين يتزعمهم الخليفة أبو بكر رأوا أن قريش أحق بالأمر كونها عشيرة النبي (ص) حتى نادى الخليفة عمر يوم السقيفة (من ذا ينادينا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته) ، وهناك اتجاه آخر رأى أن الإمام علي (ع) هو الأحق بخلافة النبي (ص) كونه الأقرب والأكثر فضائل ومن هؤلاء عمار بن ياسر وأبو ذر الغفارى وحذيفة بن اليمان وغيرهم .

النظريّة السادسة: أن الإمامية نشأت منذ أن بدأ الإسلام. يرى أصحاب هذه النظريّة أن بذرة الإمامية بذرها النبي (ص) منذ بوادر الدعوة الإسلامية ، فبعد أن نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا النبي (ص)بني هاشم لنصرته ومؤازرته فلم يجبه إلا الإمام علي (ع) ، فذكر الطبرى في تاريخه وفي تفسيره في تفسير الآية أعلاه أن النبي (ص) قال للإمام علي (ع) يومها: أنت أخي ووصيي وزيري وخليقى من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا ، وقالوا أن النبي (ص) كان بعد الإمام علي (ع) لذلك طيلة فترة الدعوة ، فروع الإمام البخاري في صحيحه أن النبي قال له: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ، وأشار بمكانته العلمية إذ روى الترمذى والطبرانى والحاكم إن النبي (ص) قال: (أنا مدينة العلم وعلى بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها). وذكر ابن سعد وابن عبد البر إن النبي (ص) قال : (أقضاكم على). ويقول أصحاب هذه النظريّة أن النبي (ص) في السنة الأخيرة من حياته نصب الإمام علي من بعده بقوله: من كنت مولاه فهذا على مولاه ، وفسروا المولى بالأولى معتمدين على قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم).

أسماء الفرقـة: سميت هذه الفرقـة بعدة أسماء منها: مذهب أهل البيت، المذهب الجعفرى نسبة إلى الإمام جعفر الصادق (ع) تميزا عن المذاهب التي نشأت في زمانه ، وسميت بالأنثى عشرية لأن عدد أنتمهم أثنا عشر فقط إشارة إلى حديث النبي (ص) (الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش) أو ورد باسم الخلفاء أو الأمراء ، ونعت من قبل الخصوم بالرافضة من باب النبذ ، والرافضة هم الجنـد الذين رفضوا قـائدـهم ، وأول من استخدم هذا اللـفـظ معاوـية بن أبي سفيـان إذ أطلقـه على من رـفـضـ بيـعةـ الإمامـ عليـ (عـ) ، إذ كـتبـ مـعاـوـيةـ إلىـ عمـرـ وـبـنـ العاصـ: لـقد وـقـعـ إـلـيـ مـرـوانـ فـيـ رـافـضـةـ الـبـصـرـةـ ، أيـ الـذـينـ رـفـضـواـ بـيـعةـ الإـمـامـ عليـ (عـ) منـ أـهـلـ الـبـصـرـ.